

التعليم

وقيادة التغيرات المجتمعية المعاصرة

سنغافورة - نمورج

إعداد

د. عبد الله حمد العباد

مقدمة:

إن التعليم جزء مهم من التربية يضطلع بدور بارز في عملية التغير التي تحدث في المجتمع ، ولكنه قد يفاجأ بالتغير الذي تحدثه أنظمة أخرى ، فتبطل به وسائله عن مسايرة التغيرات التي تتسبب بها عوامل من خارجه .

لكن الحديث هنا ربما يحسن قصره على التغيرات المقصودة والتي يسعى المجتمع لإحداثها وبالتالي يطلب من المدرسة تبني هذا التغير بما تمتلكه من وسائل ومنهج وتنظيم .

كذلك لا بد من الإشارة إلى أن التعليم له دور بارز أيضا تجاه التغيرات المجتمعية التي تحدث نتيجة تأثيرات خارجية ، أقول له دور في معالجة السلبيات التي يتعرض لها المجتمع نتيجة للتغير .

والحديث عن التعليم والتغيرات في المجتمع يقودنا إلى إيراد ملخص لتقريرين مهمين حول التربية وعلاقتها بعملية التغيرات المجتمعية :

التقرير الأول لـ إدجار وزملائه في مؤلفهم " تعلم لتكون " إذ يخلص تقريرهم إلى وجود علاقة ارتباط سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة بين التغيرات في البيئة الاجتماعية وبين البنيات التربوية ، فالتربية تسهم من حيث وظيفتها في تغيير مجرى التاريخ ، كما أن تركيز عمل المدرسة على تكوين الإنسان الكامل الذي يسعى إلى تحرير نفسه و أبناء قومه يسهم في تغيير المجتمعات .

أما تقرير استراتيجية تطوير التربية في البلاد العربية الصادر عام 1979 فيؤكد إن إرادة التغير في الأمة العربية مرتبطة بتطوير التربية ذاتها ، ويؤمن بدور التربية في تغيير المجتمع دون أن يغفل دور المجتمع في تغيير التربية ذاتها .

والسؤال الآن :

كيف يقوم التعليم بقيادة التغيرات المجتمعية المعاصرة ؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من معرفة هذا التعليم الذي سيقوم بعملية القيادة وهل كل تعليم مؤهل لهذا المهمة ؟ وكذلك معرفة ماهية التغيرات المجتمعية المعاصرة التي يناط بالتعليم التعامل معها؟

ليس كل تعليم يمكن أن يكون صالحا لقيادة التغير في المجتمع ، وإنما هناك مقدمات لابد أن تتحقق في النظام التعليمي ليصبح قادرا على هذه المهمة . ومن تلك المقدمات ما يلي :

1. إن يفتح التعليم على بقية المؤسسات الأخرى في المجتمع . فلا خير في نظام يعيش في معزل عن الوسط الإنتاجي للمجتمع.
2. إن يعكس التعليم روح العصر بحيث يرى كل جديد من حوله رؤية عصرية تساعد على التطور وعدم الجمود .
3. أن يركز المنهج التعليمي على الأفكار الحياتية التي يحتاجها المتعلم ، ومن ثم يصبح الأمر بالنسبة له أسلوب معيشة ومنهج حياة .
4. إن تتمتع بالاستقلالية أو لا مركزية القرار ، وان تمنح قدر واسع من الحرية للمدرس والمتعلم ، وان يكون لديها آلية علمية منظمة للمتابعة والتقييم والتطوير .
5. أن تنطلق العملية التعليمية لا من كونها مجرد خدمة استهلاكية ، بل باعتبار التعليم استثمار له آثاره المباشرة وغير المباشرة في عملية التنمية بمختلف جوانبها ، الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية .

أما المتغيرات المجتمعية التي تعترى المجتمعات المعاصرة فكثيرة ، منها ما هو أخلاقي قيمي ، وآخر بيئي ، وثالث ثقافي معرفي ، ورابع سكاني وظيفي (من

وظيفة الفرد في المجتمع (وفيما يلي حديث مركز وان كان مختصرا عن بعض تلك التغيرات ، وأثر التعليم فيها .

التعليم والمتغيرات المجتمعية

أولا : التعليم وثورة المعلومة والاتصالات

الدفق الهائل للمعلومات في عصرنا الحاضر يزداد شدة ، ولا ندري ما حجم التحديات التي ستنبثق منه خلال القادم من الأيام .وعلى العموم فإن التعليم قد يواجه أزمة مع هذا التواصل المعلوماتي ، فهذا التدفق المعلوماتي سوف يلقي الضوء على الأزمات التي تعاني منها الأعمال التعليمية كما سيوفر كما هائلا من المعرفة المنظمة التي تساعد في تقويم التعليم ، ومن ناحية أخرى سيكون الطالب أمام مصادر تعليمية اقدر واحداث مما يتلقاه من المدرسة ، وهذا هو التحدي للمدرسة، الأمر الذي يفرض على المدرسة إذا أرادت أن تقود دفة التغيير ان تعيد النظر في أساليبها ووسائلها، بالطبع فإن المدرسة لن تجاري وسائل الأعلام المختلفة ولكن يمكن أن تركز الجهود على طريق آخر فتبين للمتعلم الطريق الأمثل في التعامل مع ذلك السيل الجارف من المعلومات بحكمة وفاعلية، إن عمليات التحول والتغير أصبحت أكثر رسوخا الآن ، والطلاب اليوم اكثر قدرة في التقاط المهارات والمعلومات من الكبار ، والتغيير الأساسي في المنظور العالمي هو : أن الذي يقود التغير هي المدارس وليس لها خيار سوى مواجهة تأثير التغير بصورة ابتكارية ، وأكثر الإمكانيات وضوحا في هذا الشأن هو عالم تقنية المعلومات .

فما الأمور التي يجب على المدرسة ان تقوم بها لكي تساهم مجتمع المعرفة وتقود عملية التغيير ؟

يمكن أن يتم ذلك من خلال أسلوبين للعمل الأول ، عملي عام ، والثاني عملي تقني

فالأسلوب العملي العام يتلخص في :

- تدريب المتعلم على التعامل مع مصادر المعلومات ، كالمراجع ، ودوائر المعارف والإنترنت ، فتعليم الطالب كيفية الرجوع الى المعجم افضل مئة مرة من تحفيظه ألف كلمة .

- أن تضطلع المؤسسات التعليمية بتعليم الطالب كيفية إنتاج المعلومة ، بحيث يكون قادرا على أن يجمع المعلومات من مصادر متفرقة ثم يرتقي بها إلى مرحلة التفكير الموضوعي ، فيربط بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، ويكون قادرا على النقد والانتقاء وبالتالي على الحكم على المعلومات الواردة وتمييزها.

- التدفق المعلوماتي يتجه من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب وهو لا يعلمنا أسرار التقنية أو التفوق الغربي ولكنه ينقل إلينا مظاهر ذلك التفوق ، ويقدم لنا معالم ثقافة مغايرة لثقافتنا ، وبالتالي فالتعليم هنا يضطلع بدور تحصين المتعلم والشباب من الانزلاق في أحوال تلك الثقافة الوافدة ، ومن ثم فإن أداء المدارس لابد أن ينصب نحو زيادة الإحساس بالهوية المجتمعية لدى الطلاب (الانتماء) ، وخلق النزعات الإيجابية مثل: ترشيد الاستهلاك ونبذ التقليد أو الانبهار ، والتعلق بالقشور والمظاهر الفارغة ، والتواكل .. الخ

أما الأسلوب التقني فيتمثل في العناصر التالية

وهذه العناصر يدعمها المخططون من شتى أقطار العالم ، من كونها عناصر

يجب على المدرسة اكتسابها حتى تقود التغيرات المجتمعية.:

1. تواجد أجهزة الحاسب في جميع الفصول، ويتم استخدامها بصورة يومية ومنظمة ، وفي جميع المواد ، وتتحول الحواسيب من مادة دراسية إلى عامل مساعد

على التعليم .وبالطبع فالمدرسة تستطيع بذلك الوصول إلى شبكة الإنترنت والشبكة الداخلية للمدارس واستخدام البريد الإلكتروني ، و لدى المدرسة مكتبة مطبوعة -وهذا طبيعي- ومكتبة كبيرة من المواد الرقمية (CD-ROM)

2. جميع المجتمع المدرسي من مدير ومدرسين معنيين بجمع البيانات وتخزينها على نظام المعلومات كل في مجاله ، بحيث تصبح لدى المدرسة قاعدة بيانات متاحة للمتابعة التحصيلية يستفيد منها المدرس والطالب وأولياء الأمور ، وللمدير من اجل المتابعة والتقييم .

3. وجود خطة تقنية تتضمن برنامج لتحديث البرامج الحاسوبية، ومسايرة كل تطور تقني معلوماتي .

ثانيا :التعليم وتحقيق الحراك الاجتماعي:

إن انتقال الفرد إلى أعلى في البناء الطبقي للمجتمع ، والحصول على مكانة وظيفية واجتماعية راقية فيه، مطلب مهم للفرد وللمجتمع ، فالفرد يحقق طموحه نتيجة لقدراته وتطور مهاراته ، والمجتمع يحتاج الى هذه الحركة لإحداث التغير المطلوب للتنمية والتقدم ، وبالتالي ما دور التعليم في صنع هذه العملية؟

إن من شروط تحسين الوضع الاجتماعي للفرد هو حصوله على خبرات جديدة تؤهله للمنافسة على مكانة أفضل ، والمدرسة هي البيئة الأفضل لإعطاء تلك المهارات والمتمثلة اليوم في الثورة التكنولوجية العارمة وثورة الاتصالات والتعامل مع المعلومة ، وسرعة او مهارة التكيف السريع لدى المتعلم تجاه متطلبات السوق ، فالمدرسة من اجل أن تحدث التغير المرغوب فيه في المجتمع عليها أن تهيب الطالب بالمهارة المناسبة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تعد المجتمع لقبول قيم وشروط الحراك الاجتماعي وفي مقدمتها تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام مبدأ تكافؤ الفرص ، بحيث يصبح من حق كل من يحصل على خبرة او شهادة عليا ان يكون في المكان الذي يتناسب مع خبرته وقدرته .

إن تحقيق الحراك الاجتماعي في المجتمع وإيمان الجميع بقيمه وشروطه ، يعني ان هناك جهودا علمية كبيرة تبذل من الجميع ، ولان كل مجتهد لن يبخل حقه ، فإن حركة الإنتاج الفكري والعلمي ستكون في أوجها ، وهذا بالضبط ما يسمى بالتقدم العلمي والتكنولوجي ، الذي هو أساس التغير في المجتمع المعاصر .

ثالثا: التعليم والمتغير السكاني

يؤثر التعليم بدور فاعل على المتغيرات السكانية ، وذلك من خلال تكوين الاتجاهات الإيجابية لدى النشء تجاه الظاهرة السكانية ، ولاشك أن الطلاب إذا فهموا المشكلة السكانية بأبعادها المختلفة وآثارها حاضرا ومستقبلا ، تكونت لديهم رؤية سليمة تساعد على تجنبهم الآثار السلبية مستقبلا . و يمكن توضيح أثر التعليم على المتغيرات السكاني في النقاط التالية :

- انخفاض معدل الوفيات : ومن الأسباب المهمة ، انتشار التعليم وجعله حقا لكل فرد من أفراد المجتمع ، ومن ثم ما قدمه التعليم من معلومات ومهارات صحية واجتماعية وغذائية قللت من تعرض السكان للأمراض والأوبئة .
- التعليم ومعدل المواليد : فالإحصاءات دلت على أن العامل الثقافي له دور بارز في معدل نمو المواليد، فمثلا الإحصاءات الرسمية في جميع أنحاء العالم تدل على أن المرأة المثقفة أقل من نظيرتها -التي لم تتلق تعليما كافيا -في إنجاب الأطفال .

إن الدور المناط بالتعليم في هذه المسألة هو رسم سياسة سكانية تتمثل في تحويل الكم السكاني المتنامي بدون وعي ، إلى كيف سكاني ممتاز، وتحويل الكم السكاني من مجرد أعداد تستهلك إلى نوعيات تنتج أكثر مما تستهلك . وعليه فقد ظهرت دعوات متتالية وجادة في إدخال ما يسمى بالتربية السكانية في المنهج التعليمي، ويدخل في هذا الجانب أمر مهم جدا وفي نفس الوقت مهم

في المناهج التعليمية ، ألا وهو كيفية بناء الأسرة ، وتنظيمها اقتصاديا واجتماعيا والأسس السليمة لتحقيق السمو في العلاقات الأسرية ، وإدراك الحقوق والواجبات لكل طرف، ومتى ما تم ذلك فسيكون التعليم بحق قد أمسك بزمام المبادرة في إحداث نقلة نوعية في بناء الأسرة ، والقضاء على الفوضوية التي تتسم بها العلاقات الأسرية خاصة في بداياتها . وهذا عامل أساسي في نجاح المخطط الاجتماعي في إحداث التغيير الرافقي .

النموذج المثل

هنا الحديث عن إحدى النماذج من النظم التعليمية التي قادت عملية التغيير في مجتمعاتها ، وإلا فالنماذج عديدة ، سواء ما حدث في اليابان أو ألمانيا أو ماليزيا أو سنغافورة.. الخ والنموذج المختار هو من سنغافورة :

ففي السنوات الأخيرة احتلت تكنولوجيا المعلومات المرتبة الأولى من الاهتمام على مستوى الأفراد والحكومات في العالم، وتقدمت في امتدادها ونفوذها على سائر أنواع التكنولوجيا الأخرى . وتبعاً لذلك فقد تغيرت النظرة إلى الأسس التي عليها يمكن بناء اقتصاد قوي وراسخ.

ويقدم (تيو شي هين) وزير التعليم في سنغافورة ، قراءة في تجربة بلاده يعرض من خلالها لهذه الأسس والتي تتخذ من نشر المعرفة باللغات الأجنبية والعلوم التقنية والتمكين لروح الإبداع والابتكار شروطاً أساسية لها .

وحتى تضمن أي دولة تواجدها في مصاف الدول المتقدمة فهناك أربعة عوامل حاسمة يجب أن تؤخذ في الاعتبار وهي : إيجاد بيئة مشجعة لروح الإبداع والابتكار، محاربة الأمية ، تكوين أسس قوية للعلم والتكنولوجيا ، المقدرة على نشر المعرفة.

وبخصوص الأمية فلم تعد معرفة اللغة الأم أمراً كافياً للخروج من عالم الأمية ، لأن ذلك يمثل محو الأمية على المستوى المحلي ، وهذا غير كاف للوصول إلى

مجتمع صناعي واقتصادي متقدم ، بل إن إتقان اللغة الإنجليزية أصبح ضرورة حتمية ، ف 80% من محتوى الشبكة العالمية مكتوب باللغة الإنجليزية، بل إنها تسيطر كذلك على المعاملات التجارية الدولية ، وعالم المال والاتصالات والمواصلات ووسائل تبادل المعلومات التكنولوجية والأفكار. ولذا فقد فطنت سنغافورة بلد التنوع والفئات العرقية إلى ذلك الأمر فأصبحت اللغة الإنجليزية لغة المدارس والتخاطب في المعاملات المدنية الرسمية ، وبالتالي أصبحت سنغافورة قادرة على الاستفادة من البرمجيات المتقدمة التي يتم التوصل إليها في الولايات المتحدة وبسرعة فائقة.

ولأن الجانب الآخر من محور الأمية العالمية يتمثل في تعامل الشخص مع تكنولوجيا المعلومات ، والمتمثل في كيفية استخدام الشخص للكمبيوتر في حياته اليومية ، فإن المؤشر الأكثر أهمية هو مستوى تدريس الكمبيوتر في المدارس ، وعليه فقد أولت حكومة سنغافورة المزيد من الاهتمام بهذا الأمر منذ عام 1997 بإقرار خطة وصلت تكلفتها إلى مليار ومليوني دولار أمريكي لتزويد كل مدرسة ببرمجيات وأجهزة الكمبيوتر اللازمة لبناء البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات ، وبعد عامين ونصف ظهرت فوائد تلك الخطة ، حيث تشغل المواد المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات ما يقرب من 15% من ساعات التدريس ، وأصبح 95% من المدرسين مدربين على الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات واستخدام الكمبيوتر، وأصبحت كل المدارس موصلة بشبكة الإنترنت ، وهناك جهاز كمبيوتر لكل ستة طلاب في جميع أنحاء الدولة ، وتأمل الحكومة من وراء ذلك ان يكون لديها في غضون أعوام قليلة شعب يوجد به مواطن في كل أسرة على دراية بتكنولوجيا المعلومات .

وتشتهر اقتصاديات سنغافورة- كغيرها من دول نمور آسيا- بتدريس الأساسيات في كل العلوم ، والسماح بقدر اكبر من الروح الإبداعية في عمليات

التدريس ، وفي هذا الصدد قامت سنغافورة باختصار مناهجها التعليمية بنسبة 10 إلى 30% من أجل السماح بإدخال قدر معين من المهارات العقلية والروح الابتكارية والإبداعية في المناهج وطرق وضع الاختبارات ، ومثل ما تم في كوريا وتايوان ستقوم سنغافورة بوضع نظام جديد للالتحاق بالتعليم الجامعي ، لا يعتمد على نتائج الاختبارات في المدارس فقط ولكن يعتمد أيضا على اختبارات معينة لقياس القدرات العقلية ومدى امتلاك مهارات معينة تناسب الكلية المراد الالتحاق بها .

إن طبيعة التعليم في سنغافورة انه يهدف إلى زيادة الصلة بين المدارس والعالم من حولها ، مما يثري بيئة المتعلم بالتفكير الابتكاري وتحمل المسؤولية الاجتماعية وإنتاج عمليات إبداعية في التربية من خلال استخدام تقنية المعلومات .

إن الأبعاد الرئيسة في التجربة السنغافورية تمثلت في المنهج والتقويم من حيث التحول من التلقين إلى المنهج المرتكز على المتعلم بمساعدة التقنية المعلوماتية إذ يركز التقويم على قياس مهارات المتعلمين في الحكم على المعلومات وتطبيقها والتفكير والاتصال.

البعد الثاني في التجربة السنغافورية ، يتمثل في المحتوى ومصادر التعلم ، إذ يتم التركيز على برامج تعليمية ذات علاقة بالمنهج سواء كانت مطورة ذاتيا او خارجيا بالإضافة إلى ربط المدارس بالشبكة المعلوماتية العالمية .

والله أعلم واحكم —

د. عبدالله بن حمد

العباد